تمّت تخـوّفاً من التعرّض للهجوم الصـهيوني، أو بعد مشاهدة سقوط ونزوح القرى المجاورة. أي ان الغالبية الساحقة من التجمّعات السكانية الفلسطينية (٨٠ بالمئة) تمّ اخلاؤها بفعل الهجوم والطرد والتهديد الصـهيوني المباشر. وتكمن أهمية هذه الحقائق ليس في حداثتها بالنسبة الى القارىء الفلسطيني، بل في تأكيدها من قبل باحث اسرائيلي يستند الى الوثائق السرية للجيش والاستخبارات الصـهيونية ـ الاسرائيلية، فتنتفي، الى الابد، الاكـذوبـة الدعائية الصـهيونية القائلة ان الفلسطينيين نزحوا بسبب الاوامر العربية الاذاعية، وهي خرافة دحضها موريس، تفصيلياً، في جزء لاحق.

ينقسم الكتاب الى تسعة فصول، تسير بالتسلسل الزمني، من موجة النزوح الاولى حتى نشوء المحاولات الدولية لحل مشكلة اللاجئين في أعقاب الحرب، مروراً بموجات النزوح، الثانية والثالثة والرابعة، وعمليات الطرد الجماعي التي تلت الهدنة الاخيرة.

انـطلق المـؤلف بتقـديم خلفية النزاع على فلسطين، في الفصل الاول. وبعد استعراض طبيعة المجتمع الفلسـطيني ونشـأة الجالية الاستيطانية اليهودية (اليشوف)، انتقل الى الآراء المتباينة لدى كل طرف حول أهداف، ونتائج، البرنامج الصـهيوني في فلسطين. فلم يكن هناك اجماع عربي على طبيعة تلك الاهداف، ولا على طرق مواجهتها. كما انه لم يكن ظاهراً تماماً هل ارادت الطائفة اليهودية ازاحة الفلسطينيين ام لا، ضمن عملية اقامة دولة منفصلة. وهنا دخلت مناقشة موريس لعقيدة «النقل»، أي الترحيل او الطرد، التي عادت الى الظهور، مجدداً، في الفكر الاسرائيلي، في نهاية عقد الثمانينات. وعلى هذا الصعيد، أكد، أولاً، تمسّك بن ـ غوريون بهدف مستقبـلي، هو بسـط «السيادة اليهودية على انحاء فلسطين كافة، كغاية نهائية للصـهيونية... على الرغم من استعداده لقبول التقسيم» (ص ٥). ثم لاحظ، ثانياً، أن التخوّف العربي من الترحيل الجماعي ومن التوسّع الجغرافي ثبتت صحته، بل والتقى، فعلاً، بوجهة الفكر الصـهيوني، حيث اوضـح بن ـ غوريون، منذ العام ١٩٣٨، ضرورة «التمهيد لنقل العرب من الدولة اليهودية الى البلدان العربية» (ص ٢٤). وصادف ذلك وجود مقترحات اخرى، اهمها مشروع «لجنة بيل» البريطانية الذي اقتضى نقل العرب بمساعدة بريطانية، ولو بالقوة؛ فأيّد رئيس الصندوق القومي اليهودي تلك الفكرة، معتبراً اياها «الاكثر اخلاقية»، ولكنه فضّل الّا تتدخّل الطائفة اليهودية في التنفيذ.

انفجرت الحرب غير النظامية بين الفلسطينيين والمستوطنين في أعقاب اصدار قرار التقسيم، في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، وتصاعدت الى حين اطلاق الهجوم العام الصـهيوني، في نيسان (ابريل) ١٩٤٨، بعد ان بلغت الهجرة من المدن العربية ٧٥ الف شخص خلال الشهور الفاصلة. وقد استند القادة الصـهيونيون الى خطة خنق المراكز المدنية اقتصادياً، حسبما أوضح المؤلف في الفصل الثاني. ان الكثير من التفاصيل معروفة لدى الضحايا، لكن تجدر ملاحظة بضعة خطوط عريضة لهذه المرحلة. فمن جهة، ظهرت عناصر الاسلوب والتفكير الصـهيونيين بوضوح عبر الممارسات والاقوال، حيث كشفت القيادة الصـهيونية عن نواياها وطريقة مواجهتها للامور بالقرار الاستراتيجي الذي اتخذته في آذار (مارس) ١٩٤٨ لطرد جميع سكان منطقة الخضيرة، على الرغم من التزامهم بعلاقات حسن جوار مع اليهود. وقام افراد الهاغاناه بمهاجمة، وارهاب، المزارعين العرب في بيارات يافا، لحملهم على النزوح. اما النفاق الاكبر، فتمثّل ـ حسبما أكدته الوثائق في الكتاب ـ في لجوء منظمة الهاغاناه الى زرع العبوات في المناطق السكانية العربية، فيما أنكر قادتها علاقتها بتلك الحوادث، وأعربوا عن جهلهم بها، واستنكارهم لها. ومن طرائف الامور المأساوية ان يكتشف القارىء العربي ان عصابة الارغون كانت تتنصّت على المكالمات الهاتفية الفلسطينية، من أجل جمع المعلومات وقياس المعنويات.

امّا من جهة الطرف الفلسطيني، فقدم المؤلف تعليقين أساسيين: الأول، ملاحظة الدور السلبي الذي لعبته «الطبقات العليا» الفلسطينية في هذه المرحلة في المدن الرئيسة، خصوصاً حيفا ويافا، عبر النزوح الباكر. فقد أحبطت بذلك معنويات بقية السكان، وافقدتهم العديد من القادة والمسؤولين المحليين الذين يفترض بهم ان يسـاهمـوا بالصمـود، عبر تقديم الخدمات والادارة والمهارات. بل ان أفراد تلك الطبقات هم الذين سيطروا